

الجنة الضائعة

مسرحية شعرية

تأليف: الدكتور رجا سمرين



الناشر

دار اليراع للنشر والتوزيع

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر: 2002/7/1705

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى 1423 هـ - 2002 م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2002/7/1843)

9، 811

سمرين، رجا

الجنة الضائعة/ رجا سمرين - عمان: دار اليراع 2002

(ص /الجنة الضائعة.

ر.إ. :2002/7/1843.

المواصفات: الشعر العربي // العصر الحديث/ مسرحية شعرية

• تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الجنة الضائعة

مسرحية شعرية

تأليف

الدكتور رجا سمرين

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

صورة الغلاف : علي زهير خطاب

الإهداء

إلى كل فلسطيني مؤمن
بعودته إلى جنته الضائعة
(فلسطين).

المؤلف

عمّان - 1961م

شخصيات المسرحية

1. الأب

2. الأم

- زوجان في العقد الخامس من العمر.

3. خالد

4. سلوى

- شاب وفتاة وهما ولدان للزوجين السابقين في العقد الثاني من العمر.

5. سامي

- طفل في العاشرة وهو أصغر أفراد الأسرة.

6. بن غوريون

7. موشي شرتوك

8. جولدا مئير

9. مناحيم بيغن

10. موشي ديان

- من زعماء الحركة الصهيونية الذين أسسوا دولة إسرائيل.

11. إرهابي يهودي.

12. إرهابي يهودي

13. إرهابي يهودي

- ثلاثة من رجال العصابات اليهودية الإرهابية.

14. عادل

- ابن عم سلوى في العقد الثاني من عمره.

15. صلاح

- ابن عم سلوى الثاني وهو أصغر سنا من عادل، ويمتاز ببعد النظر وعدم إيمانه بالكفاح العشوائي غير المنظم.

16. فائز

17. علي

- شابان مجاهدان في مثل سن صديقهما عادل ابن عم سلوى.

18. عائد

- ثمرة زواج عادل وسلوى في السابعة من عمره.

الفصل الأول

المنظر الأول

-المشهد الأول-

الزمان: ظهر 1947/11/30

المكان: غرفة صالون متواضعة في منزل أسرة عربية فلسطينية متوسطة الحال.

يجلس أفراد الأسرة المؤلفة من: الأب والأم (وقد تعدى كل منهما الأربعين) وابنه الشاب خالد وابنتهما سلوى (وكل منهما في العقد الثاني من العمر) ومعهم الطفل سامي البالغ من العمر عشرة أعوام وهو أصغر أفراد الأسرة، الجميع يستمعون إلى دار الإذاعة في القدس وهي تعلن نبأ موافقة الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة على تقسيم فلسطين إلى دولتين: إحداهما عربية والأخرى يهودية وبعد انتهاء النشرة يطفىء الوالد المذياع ويقول محتداً:

يا ويلهم قد قسموا أرضنا

كأنما قد أنهوا المشكلة

الأب:

الأم: (ساخرة):

الابن خالد (باستغراب وغضب):

ما إن سمعنا قبل هذا بمن

يجود بالشيء الذي ليس له

الابنة سلوى:

قد عقّدوا فيما أرى يا أبي

في حلهم هذا لنا المعضلة

خالد:

الحكم بعد الآن يا والدي

الأب (مهدداً):

ويل لهم من ثورة حرة

تجعل من شذاذهم طغمة

الأم (بأسى وحسرة):

أرض السلام ستغدو

يذوق فيها الأعداء

إن الذي قدد أرادوا

سلوى:

الطفل سامي (متسائلاً ببراعة):

سلوى (بحماس):

الأب:

يا بنت إن جمانا

ما كانت الحرب يوماً

خالد:

لست أدري فيما الجدال وهذي

يوشك الغاصبون أن يذهمونا

قد صار للمدفع والقنبلة

تدهمهم كالزلازل

لنارها المسعورة المشعل

مسارحاً للقتال

طعم الردى والوبال

أمرٌ بعيد المنال

غداً سنمضي جميعاً

للحق ل؟

لا ... للنضال

ففي حاجة للرجال

من شأن ذات الحجال

عزة العُرب في مهبّ الرياح

بينما نحن نحتمي بالصياح

حصــادُ سـويعـةٍ تُفـي

شـرر اذـمهم ولا تُثـقـي

سامي (مؤمننا على كلام أبويه):

لقد قال المعلمُ لي

عن الأعداءِ في الصفِّ

بأن ثلاثةً منا

غداة الرُّوع بالآلفِ

الأب:

لقد باعوا بسخطِ الله حتى يأتي الحشرُ

وحقَّ عليهم التشريد والذلة والقهرُ

خالد (بضيق):

أبي هذا صحيح غير أن سـلاحنا نـزـرُ

يسمع الجميع طرقاً على الباب فيشير الأب للصبي سامي قائلاً:

الأب:

افتح الباب يا فتى

سامي (وهو يتجه نحو الباب):

من أتى الآن من أتى؟

الطارق (من وراء الباب)

نحن يا خالد افتح

سامي (وهو ينظر إلى والده):

إنه عادلُ أبي

-المشهد الثاني-

يفتح سامي الباب ويدخل ابن عمه عادل وهو شاب في سن خالد فيستقبله الأب مرحباً بقوله:

الأب: جئـتَ أهـلاً ومرحباً

عادل: طابَ يا عمُّ يومكم

الأب:

مـاذا وراءك عـادلُ

إنـي أراك هائجاً

عادل:

بدأت معاركنا مع الأعداء

مامضوا بنا حالاً إلى الهيجاء

يتناول كل من الأب وابنه بندقيتيهما المعلقتين على جدار غرفة الصالون ويقول الأب بحماس:

الأب:

إنـي لها يوم الكريهة مرحباً

بجهادنا والويل للأعداء

خالد:

قد آنى يا وطني الفداء وإنـي

أفديك يا وطني ببذل دمائي

لم لم يجيء معنا صلاحُ؟

أخـ _____؟

أجل قل أين راحُ؟!

الأب (ينظر إلى عادل ويسأله عن أخيه صلاح):

عادل (متسائلاً بخجل):

الأب (بغضب):

عادل:

هو مثلماً تدري عجيب

ليس يؤمن بالكفاح

زعم القتال محاولاتٍ

لن تؤدي للنجاح

سامي:

ألا ليتني رجلي كبير

وأوغل فيهمو ضرباً وطعنأ

الأم:

ستكبر يا صغيري لا محالة

سلوى:

يا ليتني كنت فتى

(يُسمع طرق على الباب فتسأل سلوى)

سلوى:

الطارق (من الخارج) :

الأم:

سلوى (باستنكار)

لأسهم في مقارعة الأعداء

لأنقذ من شرورهم بلادي

وتسهم في محاربة الحثالة

كيما أؤدي واجبي

من ذا الذي قد جاءنا الآن

إنني صلاح يا ابنة العم

لا تفتحي الباب لهذا الوغد

أمه لا يليق ذا ابن عمي!

-المشهد الرابع-

(تفتح سلوى الباب ويدخل صلاح قائلاً):

صلاح:

أسعدتمو أحبتي مساء
أجأت كي تسامر النساء؟!!

الأم (بسخرية وغضب):

سلوى:

لم تشارك في الجهاد

لأجل تحرير البلاد

أوليس عاراً أن تظل هنا

وشعبك في جلا

ملاً الجبال شبابه

وتربصوا في كل واد

سامي:

أتخشى يا صلاح من الرصاص؟

لو أنني كنت مثلك ما خشيت

صلاح:

يعلم الله أنني يا ابن عمي

لست أخشى من الردى والرصاص

غير أنني أرى الهزيمة أمراً

ما لنا من مذاق من مناص

الأم (ساخرة):

وكيف ذاك أيها السياسي؟!!

لن تنجب الحرب سوى المآسي

صلاح:

الأم:

وهل كانت طريق النصر إلا

معبدة بأجساد الضحايا

ستذهب كلها هدراً وربي

صلاح:

الأم (بغضب):

صلاح (بجد):

أعاديننا أعدوا كلَّ شيءٍ

وقادتننا كما تدريين لَمَّا

يقودون المعارك من بعيدٍ

فإن نُكبت جموعُ الشعب ظلّوا

الأم:

لا تبررْ جنبك المخزي فقد

صلاح:

ستكشفُ صدق ما قد قلتُ يوماً

(يخرج غاضباً)

لَمَّا _____ إذا؟!

إن خطتِنا ضلّةً عيفةً

وإن لَدِيهِمْ خططاً مخيفاً

يزالوا في قصورهمو المنيفة

من الغرفِ المؤثثةِ الوريقة

بمنجىٍّ من مصائبِهِ العنيفة

نَمَّ عَنْ جُنْبِكَ آراءٌ سَخيفة

لك الأيَّامُ فانتظري النتيجة

-المشهد الخامس-

سلوى: لقد أثقلتِ يا أمي عليه

الأم: أيجدرُ أن يرى هذا احتراماً؟

سلوى: لقد بلغ التشاؤم منه حداً

غداً معه يرى الدنيا ظلاماً

(يسمع طرق على الباب فتسأل سلوى)

سلوى: من الذي قـدما؟

صوت والدها من الخارج: نحن افتحني نحن

تمضي سلوى وتفتح الباب فيدخل الأب وابنه خالد وابن أخيه عادل وفي أثناء دخولهم ترفع الأم يديها إلى السماء شاكرة وهي تقول:

الأم: حمداً لله لقد عادوا

-المشهد السادس-

(تفتح سلوى الباب ويدخل صلاح قائلاً:)

سلوى:

ما أسعدَ حظي بِلِقائِكُم!

سامي:

أبتاهُ بربك حـدثنا

عن جـولتكم مع أـعدائكم

الأب:

أو ما قد قلت لكم قبلاً

إن الأعداء رعايـدُ

ما استطاعوا صبراً يا ولدي

في الهيجا نحنُ صناديدُ

عادل:

قد كانوا أكثرَ من مائةٍ

ورفـاقـي عشـرٌ لا غـيرُ

فقتلنا منهم عشـرينا

وجرحنا منهم خمسـينا

أما الباقون فقد فرروا

خالد:

عادل:

أنقذتهم جنـدُ (جنبـولٍ) ولو

تركـوهم ما نجا منهم أحـدُ

خالد:

أترى من عَجَبٍ فيما جرى

أن صـهـيوناً "الجنبـولِ" ولـدُ

سلوى:

أو ما قال بليفيـرُ لهم

سوف نُعطـيكم بلادَ القدسِ غـدُ

الأب:

سوف لن يقووا على ذاك ولن

ياخذوا شبرين من هذا البلد

ما الذي يمنعهم؟

خالد:

أجنادنا

الأب:

كيف ذا والعرب لما تتحد

خالد:

(يقطع النقاش أصوات استغاثة مختلطة بطلقات نارية غزية، ويسمع صوت امرأة تقول):

الصوت (خارج المسرح):

وأبت وأبت وأبت

وأول وأول وأول

(يتناول الثلاثة أسلحتهم ويخرجون وهم يصيحون)

الثلاثة:

لبى لى لى لى

لبى لى لى لى

-المشهد السابع-

(تجلس الأم في قلق بينما سلوى تنظر من النافذة إلى الخارج، وإلى جانبها يقف أخوها سامي. ترى سلوى ثلاثة من اليهود يصعدون الدرج فتصيح بأمرها محذرة وهي تجر أخاها سامي وتدخل إلى غرفة داخلية وهي تقول بسرعة)

سلوى:

أمـاه هـيـا اختبئـي

جـاء الـيـهـودُ فـاـهـرـي

(تحاول الأم الهرب واللاحاق بابنتها وولدها ولكنها تعثر بكرس فتقع على الأرض في اللحظة التي يقتحم فيها ثلاثة من اليهود المسلحين الغرفة، ويفرغون فيها رصاص رشاشاتهم فتخر صريعة)

اليهودي الأول (بعد أن تسقط المرأة صريعة يركلها بقدمه وهو يقول):
فلتـذـهـبـي للـنـار يـا لـعـيـنة

اليهودي الثاني (وهو يتأمل أنحاء الغرفة):

أليست الدارُ هنا مسكونة؟!

اليهودي الثالث (بعد أن ينظر من النافذة):
جـمـعُ العـرَب

قـد اقـتـلـتـهـم

فـادـرـوا

إلى الـهــرب

-المشهد الثامن-

(تدخل سلوى وسامي بعد هرب اليهود الثلاثة ويقعان على جثة
والدتهما وهما ينتحبان)

سلوى:

قتلوك يا أمي وداسوا فوق جسمك بالنعال

هم هكذا لا يجروون على مواجهة الرجال

ونراهم مثل الأسود أمام رببات الحجال

سامي:

أماه من يرعاني

بعدك يا كياني

من ذا الذي يحبوني

بـالعطف والحنان

-المشهد التاسع-

(يدخل عادل ابن عم سلوى وحده بعد أن يتلاشى صوت إطلاق النار تدريجياً ويرى سلوى وسامي وهما ينتحبان فوق جثة والدتهما فيتساءل بآلم:)

عادل:	مـاذا جـرى سـلوى
سلوى:	قـد قـتا أـمـي
عادل:	رـحـمـاك يـا رـبـي
سلوى (تهزه بعنف):	مـاذا جـرى قـل لـي
سامي:	أـيـن أـبـي أـيـن أـخـي
سلوى:	قـل مـا الـذي دـهـامـا
عادل:	

هم في عدد الشهدا

الصبر والتجاء
(ينخرط الثلاثة بالبكاء ويسدل الستار بالتدريج وسلوى تقول):
سلوى:

لبن يذهب الثمارُ

الموت للأعداء

والعدل (بحقّد بالغ:)

لن يذهب الثأر الكريم فإنه

بدمائنا يغلي كغلي المرجل

تاریخ

المنظر الثاني

-المشهد الأول-

(غرفة الصالون ذاتها إلا أن سلوى ترتدي السواد حداداً على أبويها وأخيها ومعها في الغرفة أخوها سامي وابن عمها عادل)

عادل:

هل تعلمين مساء أمس ما فعلتُ

أعداؤنا من أذى في دير ياسينا

سلوى:

أجل علمت وهل في ذاك من عجبٍ

هل يُنكرُ الغدر من أبناء صهيونا

عادل:

قد قتلوا الرجـالا

سامي:

وذبحوا الأطفـالا

سلوى:

وبقروا الحبـالي

عادل:

ونهبوا الأمـوالا

سلوى:

مالنا غيرُ جيوشِ العَرَبِ

تدفع الشرَّ وتُقصي الأجنبي

عادل:

نحن لا ندفعُ عن أنفسنا

إننا ندفعُ عن كل العَرَبِ

فإذا لم ينصرونا نالهم

من أذى الأعداء ويلٌ وحَرَبٌ

سلوى:

ماكمهو النيل والفـراتُ

قد رسمته لهمو التـوراةُ

ولقنوه للذكور درسا

وقد وعته منهم البناتُ

عادل:

يا ويلنا إن نحن قد بقينا

في غيِّنا الممقوتِ سادرينا

سيغصبون أرضنا ويغدوا

مثلهمو في الكون لاجئنا

سلوى:

لا قدر الله يا ابن عمي

قولك هذا قد زاد غمي

(يستأذن سامي اخته وابن عمه بالدخول إلى غرفة نومه قائلاً:)

سامي:

هل تسـمـحون؟

سلوى:

تفضـل

عادل:

وأيـن تمضي؟

سامي:

لنـومي

(يدلف سامي إلى غرفته)

-المشهد الثاني-

(يستأنف عادل حوارہ مع سلوى قائلا)

عادل:

يا ابنة العمّ في النفس شيئاً

سلوى:

ما الذي تبتغيه قل يا ابن عمي

عادل:

أحبك سلوى كما لم يحبّ

فتى عادةً في قديم العُصُر

أحبك حبا كبيراً عظيماً

تمكن في القلب منذ الصغر

وقد كان عمي أوصى بالألا

أفارقكم لحظة في العُمر

فهل تقبليني زوجاً وفيّاً

ينيرُ الحياة ويُقصي الخطر

سلوى:

لعمرك يا عادل أنني

أحبك حب الندى للزّهر

ولكن حبي يواريه عنك

شقائي الذي هدني والخفر

وما أنا راغبة في سواك

ولكننا عرضة للخطر

ولن نستطيع الزواج بطل

المدافع والفزع المنتشر

الفصل الثاني

المنظر الأول

(دافيد بن غوريون وموشيه شرتوك وجولدا مئير ومناحيم بيغن حول مائدة مستطيلة يتباحثون ويتناقشون):

مناحيم (بكبرياء):

سيطرت قواتنا في القسطل

وبياب الواد ثم الكرمل

جولدا:

عجباً كيف استطعنا كل ذا

شرتوك:

إنما الفضل بذا للحفا

مناحيم (يدق المنضدة بيده غاضباً):

إنما الفضل لها تسفائي

بن غوريون:

ما لموشيه ومناح اختلفا

نحن لا ننكر فضل الحفا

وكذا جهد بيننا الظرفا

شرتوك:

دافيد هل قابلك المنـدوب؟

بن غوريون:

أجل

جولدا:

وماذا تم يا محبـوب

بن غوريون:

وعدا أن يمنحنا العتـادا

حين الجلاء وكذا البلادا

جولدا:

حقاً لقد كان كريماً جداً

شرتوك:

وهل بذا من عجيبٍ يا جولدا

بن غوريون:

هم دائماً مع شعبنا كرام

لكنهم مع غيرنا لئام

جولدا:

رحمةً يهوه لك يا بلفور

لولاك ما كان لنا أظفور

مناحيم:

تبّاً لكم من عُصبةٍ جهولة

قد رضعت من لبن الرذيلة

نسيتمو كلّ الذي قام به

رجالي الأفذاذ من بطولة

بن غوريون:

وكيف ننسى يا عزيزي ذاكا

ونحن ما كنا هنا لولاك

جولدا:

أفسمُ بالتوراة والتلمود

لولاكمو ما عاش من يهودي

شرتوك:

كفى هُراء أن نَجِدَا

وهل بنا من هازلٍ يا موشي

مناحيم:

شرتوك:

قل ما الذي أعددت للعرب غدا

مناحيم:

غدرًا وتشريدًا وسلباً وردى

جولدا:

وهل ترى شرتوك أن العربا

حقا ستأتي لتخوض الحربا

شرتوك:

ما عاد في ذا عندنا من شك

وهم كما تدرين أهل فتك

جيوشهم تفوقنا في العدد

والباس والتنظيم ثم العدة

بن غوريون:

لكنها تنقصها القيادة

جولدا:

ومن بذا أخبركم يا سادة

بن غوريون:

أخبرنا بذلك بعض الصّخب

من إنجليز في جيوش العرب

مناحيم:

لا تجبنوا لا تفزعوا

فنحن أكفأء لهم

ولن تطول حربهم

حتى يولوا دُبّرهم

بن غوريون:

الحرب مكرّ ودها

ونحن يا صّخب لها

مناحيم:

أنخشي الهزيمة والانكسار

وشعب الولايات من خلفنا

المنظر الثاني

-المشهد الأول-

(بن غوريون وشرتوك وجوالدا ومعهم موشيه ديان حول مائدة
مستطيلة في أحد الملاجئ بعد دخول الجيوش العربية أرض فلسطين
بأسبوع):

بن غوريون:

لقد أوشك العرب أن يهزمونا

فما ترون لكي تُنقذونا؟

جولدا:

جنود مصر بلغوا أسدودا

وبيت لحم وجنوب القدس

شرتوك:

وجيش للعراق أطل علينا

وفي كفر قاسم خط الرحالا

بن غوريون:

وجنود الأردن قد وضعوا

في اللد كتائب لا تقهر

شرتوك:

وجيش سورية في الشرق غدا

هايمكاً وسامخاً مهدداً

جولدا:

وقاوقجي الذي ما كان

يخشى بأسه أحداً

توغل جيشه حتى

غدت في محنة صفداً

بن غوريون:

الحق أنا صرنا

على شفا الهزيمة

جولدا:

آه من مصّر وطياراتها

دمّرت أجمل ما في تل أبيب

وأفضّت مضجّع الشعب وقد

مسّنا منها بلاءً ولغوب

شرتوك:

مالديان أن تراه ساكتاً

لم يفقه منذ بدأنا بكلام

جولدا (ساخرة):

إن موشيه يؤثر الفعل على أن يطيل القول

ديان:

حقاً يا مدام

قد تشاكيتم طويلاً

وتبشاكيتم كثيراً

ما الذي يجنيه شخصٌ

يسفح الدمع غزيراً

ابحثوا الأمر بجد

فلقد أمسى خطيراً

شرتوك:

قل أين رأيك إننا

قد عهدناك خبيراً

ديان:

نطالب الهدنة

بن غوريون (مستغرباً):

ماذا؟!

جولدا (موافقة):

دممت ديسان مشيرا

شرتوك:

وهل يقبل العُربُ بالهدنة

ديان:

سنُفرضُ فرضاً من الهيئة

بن غوريون:

أتعني هيئة الأمم؟

ديان (بتهمك):

أجل يا حامي الحرم

شرتوك:

وماذا سنجنني من الهدنة؟

ديان:

مزيـدا من المال والقوة

جولدا:

وفتح الموانئ للهجرة

بن غوريون:

ولن نحفظ العهد كالعادة

ديان:

سنخرق الهدنة كل يوم

ولن نُضارَ أبداً باللوم

شرتوك:

وقد يستأنف العرب القتالاً

إذا عنهم غشاء الجهل زالا

بن غوريون:

العرب شعب يحفظ العهد

وفي الطباع خالفوا اليهود

وهم إذا ما استأنفوا القتالاً

لن يعرفوا غدرًا أو احتيالاً

ديان:

ليس المهم تمسكاً بمبادئٍ

إن المهم وصولنا للنصر

جولدا:

ولنبذل دماءنا وحياءنا

وجميع ما في طبيعنا من غدر

بن غوريون:

لا خير في حرب تكون شريفةً

إن لم تُزيّن بالأذى والمكر

شرتوك:

بوركتمو أبناء يهوة إنكم

لا بد من أن تبلغوا الأهدافا

لا كان منا واحد إن لم يكن

ما يبتغي التخریب والإتلاف

نحن الذين اختارنا الخلاق من

بين الخلائق وعُصبةً أحلاف

تحقيق حلم الشعب غايثنا التي

كم داعبت أطيافها الأسلافا

ديان:

إذن فاذنوا لي بالانصراف

بن غوريون:

إلى أين يا موشييه

ديان:

للجهة

جولدا:

رعاك إلهي ديان

ديان:

ش_____كراً

جولدا

وأبلغك النصر يا مهجتي

(يخرج ديان ويستأنف الباقون الحوار)

المنظر الثالث

-المشهد الأول-

(عادل وصديق آخر يدعى فائز يجلسان في خيمة ويتبادلان الحديث حول توقف الحرب وقبول العرب للهدنة):

عادل:

ترى ما جنينا من الهدنة

فائز:

وماذا جنينا سوى الخيبة

عادل:

وها قد مضى الشهر يا فائز

ولما نعد بعد للقريّة

فائز (ساخراً):

لقد وعدتنا الجيوش بأننا

سنرجع فوراً بلا مهلة

وقالوا بأن اليهود ضعاف

سنلقى الهزيمة في جولة

عادل:

لقد وقع العُربُ في خدعة

أعدتْ بليلاً لِدَى الهَيْئَةِ

فائز:

ولو كان للعُربِ خيرٌ بوقف

القتالِ لما قُبلَتْهُ الأعداءُ

فهذي البواخر تلو البواخر

تأتي بهم من أقاصي البلاد

محملةً بالسلاح الكثير وما

يبتغون له من عتاد

عادل:

وقد واصلوا الزحف نحو الجنوب

تجاه الحُلَيْقات أو غَزْرة

ودانت لهم كوكبا والحسيرُ

وعسلوجُ والعُرْبُ في غفلة

فائز:

وإن غضبوا أزعجوا العالمين

ببعث احتجاجٍ إلى الهيئـة

يقولون إنا أناس كرامٌ

نحافظُ دوماً على الهدنة

وأما اليهودُ فهم ناكثون

وقد واصلوا الحربَ في الجبهة

عادل:

وإني ملأتُ المقامَ وربّي

بغيرِ جهادٍ بذِي الخيمة

فائز (بأسى وحسرة):

جردونا من السلاح وقالوا

سوف نكفيكمو شرورَ اليهودِ

(يلمحان شبحاً قادماً من خلال باب الخيمة فيتساءل عادل قائلاً وهو يضع كفه فوق حاجبيه ليتحقق من رؤية القادم):

عادل:

انظر إلى القادم من يكون؟

فائز:

هذا عليُّ هادمُ الحصون

عادل:

مدمر مَعْمَلِ السَّكْبِ؟!

فائز:

وهـادمُ وكرِّ حَزْبـون

(يدخل القادم وهو شاب مجاهد يدعى علياً)

-المشهد الثانى-

علی:

سَلام عَلَیْکُم

عادل وفائز (معاً):

عائِدِ اى السَّلام

عادل:

عسى أن تكون بشيراً بخير

علی:

أجل يا صديقيّ إن الجيوش ستستأنف الحرب منذ الغد
(يعانف عادل فائز فرحاً بالنبأ)

فائز:

وَحَقُّ فَلَسْطِينِ أَتْلَجَتْ صَدْرِي

عادل:

وَأَدْخَلْتُ بَرْدَ السَّرُورِ لِنَفْسِي

علی:

رویدکما لا تُسرفا فی التّفاؤلِ

فائز:

لماذا؟ أليس النصر أمراً محققاً

علی:

أراه بعيداً يا رفلاق

عادل:

وما الذي سيحجبُ عنا النصر

علی:

شمل تمزق ا

وْخَلْفٌ وَأَحْقَادٌ وَأَطْمَاعٌ عُصْبَةٌ

بها كل مـسـلـوب الإرادة أخرقا

يَرَى الْمَالَ وَالْأَلْقَابَ غَايَةً هَمَّهُ

ويرقى على صَرْح الضحايا إذا ارتقى

فائز:

جحافنا سَبَغْ ونخشى هزيمة

علي:

لو أن جيوشَ العُربِ جيشٌ مُوحِدٌ

ولكنها أَشتاتُ شعبٍ ممزقٍ

تحكَّم فيه كلُّ أحقق فاسدٍ

حريصٍ على تنفيذِ ما يبتغي الأولى

عادل:

لو أنهم قد سألوا شعبنا

لما خرجنا من قُرانا وما

لكنهم قد عاملونا كما

فاستأسدَ الفئران في أرضنا

فائز (مستأذناً):

عادل:

أمامَ عصاباتِ اليهودِ القلائلِ

لما كان في النصرِ المؤرِّرِ من شكٍّ

مصائبُهُ تُشجِّي وأوضاعه تُبكي

شديدٍ على الشعبِ المكبلِ ذي فتكٍ

إقاموه فوق الشعبِ ملكاً بلا مُلكٍ

ودعّموه من وراءِ الحدودِ

تنمرت فيها كلابُ اليهودِ

يُعاملُ المحتلُّ بعضَ العبيدِ

والقيدُ يا للقيدِ يُدمي الزنودُ

وداعاً أيها الصَّحْبُ

إلى أيِّ أين؟

فائز:

إلى الـ

علي وعادل:

رعاك الله ولتصحب

خطاك عناية الباري

-المشهد الثالث-

علي:

أرى أنني قد أطلت المقام

عادل:

ومـاذا وراءك كي تُسرعا

ألسنا جميعاً نعيشُ الفراغَ

فَلَا حَقْلَ نَسْطِيعُ أَنْ نَزْرِعَا

وما من مشاركة في الجهاد

ولا شيء نـسـطـيـعُ أن نـصـنـعـا

علي:

أُصِيبَتْ وَلَكِنْ هَلُمَّ مَعِيَ

نُصَعِدُّ فِي التَّلِّ قَبْلَ الْمَغِيبِ

عسى نفحةً من نسيم البلاد

تمرُّ فتحيي بقلبي الوجيبُ

فإني أكاد أدوبُ شيئاً

لمسقط رأسه الحبيب السليب

عادل:

هَلُمْ فَإِنِّي مَشْوُقٌ كَثِيرًا

لبيتي الصغير وحقلي الخصيب

(يخرجان)

تاریخ

* * * * *

الفصل الثالث

المنظر الأول

-المشهد الأول-

(سلوى وعادل يجلسان في خيمة بعد استئناف القتال إثر انتهاء الهدنة ودخول مجرى الأحداث في صالح اليهود)

سلوى:

أرى البُعْدَ عن الأوطان

يا ابن العم قد طالا

عادل:

وسوف يطول يا سلوى

شهوراً ثم أعواماً

لأن النصر قد أمسى

بُعْدَ اليوم أو هماماً

سلوى:

وما الذي يدعو إلى التشاؤم

عادل:

كثرة ماتم من الهزائم

سلوى:

أليست الحرب سجالاً دوماً

نكرُ يوماً ونفِرُ يوماً

عادل:

هذا إذا توافر الإخلاص

والعزم والفداء والرصاصُ

سلوى:

وآخرُ الأنبياء يا ابنَ العم

لعلها تُذهبُ بعضَ الغمِّ

عادل:

قد احتل العدا بيسانَ والرملةَ والليدا
وهامَ جميعُ من فيها من السكا بالبيدا
ولم يصطب النـازحُ من أبنائها بُردا

سلوى:

وارحمنا لشعبنا المُصاب

كم ذاق من ذلٍّ ومن عذاب

وثق الأصاب والأقارب

فإذا بهم كالرُقش والعقارب

عادل:

أماننا مسـتقبلُ مجهول

تضلُّ في ظلامه العقول

فكيف يا سلوى تواجهينهُ

من غير زوج لك تصـطفينهُ

ألم يحن أن تتركي العنادا

وتسلمي لصـبَّك القيـادا

سلوى (بفتور):

لك يا ابنَ عمي ما تشاء

فالقلبُ ليس به سواك

-المشهد الثاني-

(يدخل الصغير سامي ويقبل عليهم مهناً)

سامي:

فأتهنأوا كل الهناء

سلوى (بخجل):

أسمعت ما قلنا؟

سامي (ضاحكاً):

أجل

من خلف باب الخيمة

عادل (موجهاً سؤاله لسامي):

أولست في هذا مُحَقّاً؟!

سامي (مؤمناً):

ذاك عين الحكمة

عادل (ينظر إلى الباب فيرى شخصاً قادماً فيقول):
هذا صديقي فائز

أراه يأتني نحونا

(يدخل فائز)

-المشهد الثالث-

فائز:

طَبِـتُمْ مَسَاءَ أَيَّهَا الصَّحْبُ

عادل:

أهلاً وسهلاً أيها البأسل

فائز (مستكراً):

ماذا؟ وهل في العُربِ من بأسل

بعد الذي قد كان يا عادل

عادل:

أراك مغيضاً فهل من جديد

فائز:

لَقَدْ قَبِلُوا الْهَدْنَۃَ الدَّائِمَةَ

سٹوئی:

أَتَعْنِي بِأَنْ الْقِتَالَ أَنْتَهَى!!

فائز:

أجـ لـ

سٹوی:

والـ _____ بلادُ؟!

فائز:

غدت لليهود

سلوی:

ونحن وهذي الجموع التي

تُرى فى الفيافى وفوق النجود؟!

أَتَبَقَى إِلَى أَبَدِ الْأَبَدِينَ

تہـیـمُ حـیـاری وراءَ الحـدود؟!

وقد خافت كل عيش رغيد

وخيّر عميم بأرض الجدودُ

سامي:

أحقّا غدا بيئنا لليهود

وليس لنا نحن في ذا الوجود

فائز:

أجل يا صغيري لنا الذكر

لنا أن نهيم بهذا الوجود

لنا أن نلوذ بهذي الخيام

عادل:

كفى فائز لن تضيع البلاد

تهزّ النيام وتحيي الموات

وتنفض عنا غبار الهجوع

لنقضي على عُصبة الخائنين

ببيروت في كل أرض لنا

فائز:

ومن يستطيع أن يقضي على من

وكل الذي فيه من نعمة

سوى ما نراه بذي الخيمة

يات لنا العار والفقْر والذّلة

يطاردنا الجوع والخيبة

بجوف الكهوف لنا الظلمة

ولكنها محنة عابرة

وتوقظ أنفسنا السادرة

لنفتك بالعصبة الغادرة

ببغداد والشام والقاهرة

تدنسها عصبة فاجرة

ذكرت وحولهم جنّد كثير

عادل:

عندما تغضب الشعوب يُؤلي

وتميدُ العروشُ من شدةِ الكربِ

ويذوقُ البلاءَ كلُّ مريدٍ

فائز:

عادل:

فائز:

وماذا سوف نفعل يا صديقي

تفرق في الجبال وفي الصحارى

عادل:

علينا أن نجهزَ للأعادي

فدائبين ينطلقون دوماً

يحيلون الحياة لهم جحيماً

ليغدو عيشهم فيها مُحالاً

عزَّ مَنْ يبتغي هوانَ الشعوب

ويعلو الوجوه لَوْنُ الشحوبِ

قد أذاق الشعوبَ طعمَ اللغوبِ

حقق الله يا صديقي الرجاءَ

ليس يشفي الدعاءُ يا صاحِ داءِ

ونحن كما ترى شعبٌ ضعيفُ

تمزقه المصائب والحتوفُ

كتائبُ تُرسلُ الموت الزؤاما

بيثون المخاوفَ والحماما

يزيدُ بكل ثانيةٍ ضراما

ونرجعَ مثلما كنا كراما

الفصل الرابع

-المشهد الأول-

(الزمان عام 1958 والمكان كوخ متواضع يعيش فيه الزوجان عادل وسلوى وطفلهما الصغير عائد البالغ من العمر سبعة أعوام، سلوى وطفلهما وحدهما في الكوخ يدور بينهما هذا الحوار)

عائد:

لماذا ليس لي أمّاء

كأبن الجار سـيـارة

ولا دراجة ألّهـو

بها يا أمّ في الحارة

ولا ثوب أتية به

ولا كُـرة وصـفـارة

سلوى:

سأعطى كلّ ما تهوى

غداً تعود للوطن

فنحن هنا بلا أرضٍ

ولا مالٍ ولا سـكـن

وما قد رُمّته يا ابني

كثيراً بـاهـظ الـثـمن

عائد:

وهل يا أمّ إن عدنا

يكون لنا الذي نهوى

فلا فقر ولا خوف

ولا ذلّ ولا شـكـوى

سلوى:

أجل يا قرة العين

ستعطي كل ما تهوى

(يلمح عائد والده عادلاً قادماً فيصبح مبتهجاً)
عائد:

أمه قد جاء أبي

سلوى (يخف عائد لاستقبال أبيه):

هيا ألقه يا عائد

-المشهد الثاني-

(يدخل عائد فيقبل ولده ثم يقول)

عادل:

أَسْعِدْتِ مَسَاءً يَا سَلْوَى

سلوى:

أَسْعِدْتِ مَسَاءً يَا عَادِل

عادل:

مَالِي أَرَاكِ شَاحِبَةً

مريضَةً أَمْ غَاضِبَةً

سلوى:

قَدْ عَيْلٌ صَبْرِي يَا عَادِل

ولم يعد في القوس من مَنْزَعٍ

عشر من الأعوام أمضيتها

انتظر العودَةَ للأربع

وإنني أخشى قدومَ الردى

قبل اجتلاء النورِ في مربَعي

عادل:

لا تَيَأْسِي سَلْوَى فَمَا شَعْبُنَا

يعيا بحملِ العبءِ في مَفْطَحِ

توالت الآلام لكنَّهُ

قَرَّ بوجهِ النوءِ والزعزعِ

وظلَّ في وجهِ الردى ثابتاً

وماله في الكونِ من مَفْزَعِ

وإن شَعْباً هَذِهِ حَالُهُ

سوف يُغَدِّ السَّيْرَ للمرجعِ

سلوى:

عام يَمُرُّ وآخر يَنْصَرُّم

فمتى نعود وتنقضي آلامنا

عادل:

لا تَيْأَسِي فاليأسُ شأنُ الكافرِ

ورجوْنَا لا بد يوماً كائنٌ

ولسوف يا سلوى تَرَيْنَ جحافلاً

فيهما من الأحرار كل مدججٍ

من كل حذبٍ ينسلون كأنهم

إذ ذاك لا يبقى عدوٌ غاصبٌ

ويعودُ وجهُ العيشِ طلقاً باسمًا

عائد:

أُمَاهِ هِيَا غَنَّا

عادل:

يَا سَلَوِ هِيَا غَنَّا

وبلادُنا فيها العدا تتحكمُ

ويعودُ وجهُ العيشِ طلقاً يبسمُ

والنصرُ في الدنيا حليفُ الصابرِ

ما دام فينا كل صلبٍ قادرِ

تتري تباعاً كالمحيط الهادرِ

من نسل يَعْرُبُ ذِي النَّجَارِ الطاهرِ

جنٌّ لدى شرِّ الوغى المتطايرِ

ونعودُ للمجدِّ التليدِ الزاهرِ

كالبدْرِ في ليلِ الربيعِ العاطرِ

أَغْنِيَنَّهْ تُطْرِبُنِي

عن الريا في الوطنِ

عن الطيورِ السارحاتِ وزهورِ السوسنِ

عن النجومِ الحالماتِ والشذى والفننِ

سلوى (تغني) :

فلسطينُ يا واحتِني الوادعة

ويا جنتي الحلوهُ الضائعة

سنرجعُ رغمَ النزوحِ الطويلِ

ورغمَ التشردِ يا رائعة

فوجدتُنا يا جنانَ الخلودِ

مرأهمُ نكبتنا الفاجعة

وجيشُ فلسطينا سوف يمحو

سطورَ جراحاتنا الدامعة

فيا ويلَ صهيونَ من وقعةٍ

تهونَ لدى هولها الواقعة

لقد جهلوا حين ظنوا بأن

العروبةَ لم تزل هاجعة

وأن فلسطينَ سوف تظلُّ

بأيدي ذئابِ الورى الجائعة

(يلمح عائد عمه صلاح قادماً فيبشر والديه بذلك قائلاً:

عمي صلاح قد وصل

عائد:

سلوى وعائد (مرحبين):

أهلاً وسهلاً بالبطل

يدخل صلاح وهو يرتدي ملابس ضابط برتبة ملازم أول في جيش التحرير الفلسطيني ثم يحيي الجمع قائلاً:

-المشهد الثالث-

صلاح:

حييتمـو يا أيها الأهل

الجميع:

يا مرحباً بالباسل الأسد

(ينظر صلاح لعائد ويحتضنه ويقبله)

صلاح:

صـغيري عائـدٌ مـرَحَى

أجبنـي كيـفَ أحوالـك

عائد:

بخيرـ أيها العـمُّ

أريـدُك سـالمـاً دوماً

أراك بـيـزة الضـباط

تبـدو رائـعـاً شـهما

صلاح:

أتبغـي أن تـكـون إذا

كبـرت مـلازـمـاً مثـلي

عائد:

أجل لأحـارب الأعداء

فـي النـجـدِ وفـي السـهل

وأنقـدَ أرضـنا مـن شـرِّ

مـن قـد شـردوا أهـلي

عادل (موجهاً الخطاب إلى صلاح):

عسـاك سـتبقـى لـدينا طويلاً

صلاح:

سأبقـى لـديكم ثلاثـاً لـيال

سلوى:

لماذا تعودُ سريعاً سريعاً

صلاح:

لأنني هناك أعدُّ الرجال

أعدهمو للوغي والنضال

أعدهمو للصراع المريع

ليغدوا جميعاً جنوداً عظاماً

لهم كُلُّ علمٍ بفنِّ القتال

لكي يستطيعوا استعادةَ أرضِ

العروبةِ إما حينَ النزال

عائد (ينظر إلى أمه ويسألها):

أماء متى يأتي خالي

سامي من مصرَ العربية؟

فقد أوحشني يا أمي

أو ماذا قد أنهى الكليّة؟!

سلوى:

عامان ويرجع يا ولدي

من مصر ليصبح أستاذا

بينني أجيالاً ويربني

منها أقيالاً أفذاذا

ليواصل معهم يا ولدي

سير الأبطال

عائد:

إلى متى ماذا؟!

سلوى:

لقد دس ويافا ولحيفا

صلاح:

لَنْ نُبْقِيَ فِيهِ شَيْئًا إِذَا

عائد (ملتقاً إلى عمه صلاح):

عماه ما أحضرت لى؟!!

صلاح (يخرج من جيبه مسدساً صغيراً):

هذا المسدس يا صغيري

عائد (معانقاً عمه):

يا أروع عم فى الدنيا

شـ کـ ر ا شـ کـ ر ا شـ کـ ر ا شـ کـ ر ا

صلاح:

يَا أَجْمَلُ طِفْلٍ فِي عَيْنِي

عَفْوَاً عَفْوَاً عَزْراً عَزْراً

(يطلق عائد طلقة من مسدسه في اتجاه فلسطين)

ويسر دلسر تار

تمت بعون الله،،